

الإيتيقا عند كيركجورد

د. عماد الدين إبراهيم عبد الرازق *

مقدمة

يعتبر كيركجورد (1813-1855) هو الأب الروحي للفلسفة الوجودية في جانبها المسيحي، فهو الممثل الرئيسي للاتجاه المؤمن في الفلسفة الوجودية. كما إن سارتر هو الممثل للتيار الملحد في الوجودية. وكيركجورد هو أبوالفلسفة الوجودية، وهو المصدر الذي نبعت منه معظم الاتجاهات الوجودية المعاصرة.

والإيتيقا عند كيركجورد لها أسس قامت عليها، ومنطلقات أساسية انطلقت منها .

الأساس الأول:- منهج دراسة الذاتية؛ مما لا شك فيه أن الإيتيقا الوجودية عند كيركجورد اتخذت نقطة انطلاقاً من الفرد الإنسان (الوجود الإنساني)، فالفرد العيني هو الموضوع الرئيسي عند كيركجورد، وهو لا يقصد بالفرد الإنسان المجرد الذي يمثل كل البشر ولا واحد منهم ، بل يقصد به ذلك الإنسان الفرد الذي يتفاعل مع الوجود والحياة من خلال تجربته الحية ولا يستطيع أحد غيره أن يحل محله في هذه التجربة . ولذا فالإنسان يستطيع أن يؤكد ذاته الإيتيقية في هذه الحياة من خلال هذا الموقف الذي يجد نفسه منخرطاً فيه، باعتبار أنه ذلك الكائن البشري الموجود في العالم من خلال ذلك الاختيار الحر الذي يميز الإنسان.(1)

ومن هنا كان كيركجورد يبحث عن مفهوم انطولوجي لوجود الإنسان يصبح فيه الإنسان ليس مجرد ذات عارفة، بل يصبح إنساناً معاشاً للأشياء، وليس عارفاً لها فقط. ومن ثم كان كيركجورد يهدف إلى وضع منهج

للحياة الأخلاقية يكون الموضوع الأساس فيها هو الفرد بأن يصير الفرد مسيحياً، وكل شيء سواء في الحياة الإيتيقية أو في التدين عند كيركجورد يدور حول تحقيق الشخصية وتعميقها.⁽²⁾

ونستطيع القول إن كيركجورد قد بدأ الإيتيقا الوجودية من الإنسان مباشرة أي من الذات المشخصة بكل ما فيها من حرية ومسؤولية، وبكل ما يعترها من قلق وشعور بالإنثم وبالذنب والخطيئة. لذا نجد أنه اهتم بدراسة الإنسان من الداخل (الوجود الداخلي للإنسان) ورأى أنه ينطوي علي مفارقة (Paradox)، بين المتناهي واللا متناهي، بين الزماني والأبدي، وهو يتحول إلى شيء⁽³⁾

وبعد ذلك يقرر كيركجورد أن الإنسان حر، يختار وهو في اختياره يقرر نقصانه، لذا فهو صانع وجوده ورب أفعاله، ولا توجد قوة خارجية تفرض إرادتها عليه وتجعله يتخلى عن الطريق الذي اختاره لنفسه، بل هو الذي يرسم ويخطط لحياته بمفرده وبكامل إرادته، فهو وحده الذي يمكن أن يقال عنه أنه (عين وجوده).

ووجوده دائماً يسبق ماهيته، وبناءً علي ذلك تعد الإيتيقا عند كيركجورد فلسفة الإنسان لا فلسفة الأشياء لأنه أول من رفض فلسفة الأشياء واضعاً في مقابلها فلسفة الوجود أو فلسفة الإنسان⁽⁴⁾.

ومن هنا نستطيع القول أن الإيتيقا عند كيركجورد هي تعميق للشخصية الروحية التي تسمح لنا أن ندرك الكلي في المفرد، وأن ندرك في الإمكان الفردي نفسه (المطلق) عن طريق إتباع المنهج الذاتي.

فالمنهج الذاتي كما يقول كيركجورد هو الذي يحتوينا كأشخاص لكي ندرك المعني الباطني والروحي الأصيل الذي يتميز به الإنسان. لذلك فهذا المنهج الذاتي هو الطريق الصحيح الذي يحقق بصيرة واضحة وصحيحة ويكون الاستعداد لدينا لكي نلتقي بالأبدي، وكيف ندخل في علاقة خاصة مع

الأبدي، ومن هنا يهتم الفكر الإيتيقي الذي قاده كيركجورد اهتمامًا أساسيًا بدراسة الإنسان للطبيعة، وينصب علي الذات لا علي الموضوع، وهذه الذات هي التي توجد أولاً، وهي ليست الذات المفكرة بل الذات الفاعلة، الذات التي تكون مركز الشعور والوجدان، بناءً على ذلك نرى أن الإيتيكا عند كيركجورد تجعل من الذات البشرية محور اهتمامها ومدار بحثها، أنها تريد إحلال المفكر الذاتي محل المفكر الموضوعي⁽⁵⁾

الأساس الثاني للفلسفة الإيتيكية عن كيركجورد: هو تأكيد قيمة الشخص المتفوق الخارق للعادة، لقد عبرت الأيتيكا عند كيركجورد عن قيمة الشخص المتفوق الخارق للعادة، ودافع عن الفرد المتميز ولم يدافع عن الفرد العادي المتوسط القدرات، فهذا الفرد المتميز هو شخص ذو مواهب نادرة تجعله غريبًا عن الجماهير التي تنظر إليه نظرة كلها حسد وحقد، وهذا الشخص الفذ والفريد في مواهبه هو الذي يستطيع الدخول إلي محراب الإيمان (الم يقل السيد المسيح اجتهدوا للدخول من الباب الضيق) ألم يقل سقراط من قبل (إن باب الرذيلة واسع يدخله جماعات أما باب الفضيلة ضيق لا يدخله إلا شخص واحد) وهذا الفرد الفذ والمتميز والمتفرد هو المعيار لكل القيم الإيتيكية والاجتماعية، وهو فارس الإيمان الذي يحطم المذهب ووحدة الوجود، وهذا الشخص كذلك يتحمل المسؤولية الإيتيكية برمتها نتيجة لما يتمتع به من ذات فردية أصيلة⁽⁶⁾

الأساس الثالث للفلسفة الإيتيكية عند كيركجورد: فكرة الحشد أو الأغلبية (majority) أو (crowd) ولقد رفضها ولم يهتم بها، لأنه لم يجد تعاطفًا من هذا الجمهور طوال حياته.

لذا يقول إن الحشد كمفهوم في ذاته يمثل الباطل، وذلك لأنه يحيل الفرد إلي شخص غير مسؤول أخلاقيًا فهو شخص لا يتوب ولا يندم، ولقد كره كيركجورد الجماهير ونفر من الحشد قائلاً تلك الجماهير وهذا الحشد ليس في الواقع إلا رعاع وسوقه ودهماء، فالجماهير قد أصبحت الآن

الطاغية الكبير والأساس الإتيقي لكل فساد، وذهب كيركجورد إلى أن فكرة الأغلبية هي فكرة بالغة الحمق⁽⁷⁾

الأساس الرابع من أسس الإتيقا عند كيركجورد: هي محاولة توضيح مغزى الحقيقة الانسانية، والتي تمثل في جوهرها حقيقة إتيقية دينية، لأن الوجود الإنساني نفسه ذات معنى أخلاقي، لهذا أراد كيركجورد أن يساوي بين الذات والروح في وجودها الفردي، حيث يكون التركيب والجمع بين الواقعية وما هو ممكن لذا يري أن الإتيقا العملية هي الفكرة القائلة أن الوجود الإتيقي هو الوجود الحقيقي الفردي الذي يوضح ويدرك الذاتية⁽⁸⁾

الأساس الخامس للإتيقا عند كيركجورد: هو التمييز بين فكريتي الكم والكيف، لقد جعل كيركجورد من فكرة الكيف المقياس الحقيقي لكل ما له قيمة إتيقية، فلقد رأي في المرض الذي يؤدي إلى الموت أنه الكيف الذي يمثل المعيار الحقيقي لكل ما هو روحي وإتيقي، عكس الكم الذي تتميز به المادة، لأن جوهر الإنسان الحقيقي هو الروح وليس المادة، وأراد كيركجورد بذلك أن يضع نصب عينيه إنقاذ (الفرد من الضياع) وتخليص الشخصية البشرية من الطقوس الشكلية في الكنيسة وهو ما أدّى إلى انفصام الشخصية، وشعر أن مهمته هي إبراز هذا الوجود الفردي⁽⁹⁾.

الذاتية والوجود الإتيقي:-

ينطلق كيركجورد في تصوره للوجود الإتيقي مننقطتين هامتين:-

1- الذاتية الإنسانية تقف جنباً إلى جنب مع أبعادها الداخلية لأنها تحتاج أن تؤكد وتصان مثل المطلق.

2- الوجود الذاتي للفرد هو وجود إتيقي أصيل، وهذا الوجود الإتيقي الأصيل يكمن في الحكمة الإتيقية الكيركجاردية (اختار ذاتك واعرف

نفسك) ومن خلال هذا المبدأ الإتيقي يظهر بوضوح ازدواج المعنى الإتيقي عند كيركجورد من حيث أنها مهمة للفهم الذاتي، ومن حيث أنها مرحلة للوجود الإتيقي الإنساني، فالفرد في الاختيار يفهم ذاته بوصفها مهمة إتيقية ويعد الاختيار شكلاً للفهم الذاتي⁽¹⁰⁾.

مشكلة اختيار الذات الإتيقية:-

يقول كيركجورد عندما نتساءل ماذا يجب أن افعل، وماذا في استطاعتي أن افعل؟ نجد أن هذين السؤالين يفسران مشكلة الذات الإتيقية مادمت لا أستطيع أن أعرف ماذا يجب أن افعل. والسؤال الأساسي عند كيركجورد والذي تكون له الأولوية في فلسفته الإتيقية: ماذا أكون أو كيف أصبح ذاتاً إتيقية؟ وأن اختيار الفرد بذاته يرتبط بمعرفته لذاته، وهذه المعرفة ليست تأملية ولا موضوعية لذلك استخدم عبارة (اختر ذاتك) لأن معرفة الفرد لذاته ضرورية، ولكنها ليست كافية لانبثاق الذات الإتيقية، وبناءً على ذلك فإنه بمعرفة الفرد لذاته يبدأ ظهوره الإتيقي، وهذه الذات الإتيقية التي يختارها تجمع بين عاملين انطولوجيين هما:- الواقع أي ما هو ما عليه بالفعل، والمثال وهو ما ينبغي أن يكون عليه.

ويتطلب الوعي الإتيقي الفعل القصدي الذي يربط بين هذين العاملين، ومن هنا نجد أن الذات الإتيقية هي التي تبحث عن ما ينبغي أن تفعله، كذلك هي الذات التي توحد بين المطلب الإتيقي الذي تريد تحقيقه وبين الذات الفعلية⁽¹¹⁾.

طبيعة الاختيار الإتيقي:-

ينقسم الاختيار الإتيقي عند كيركجورد إلى قسمين :

- (1)- اختيار إيجابي حقيقي وهو الذي يختار فيه الفرد ذاته المطلقة.
- (2)- اختيار سلبي (زائف) وهو الذي يلغي فيه إمكانية الاختيار بالسماح

للآخرين بأن يختاروا له، وقد تفشل الذات في عملية اختيار نفسها من الوجهة الإتيقية، وهذا يتم حينما يختار ذاته في عزلة، عندئذ لن يستطع الفرد أن يختار ذاته علي نحو إتيقي لأنه لم يرتبط بالواقع، وهكذا يرى كيركجورد أن تطور الذات وتميزها يبدأ عند الانتقال من المرحلة الجمالية إلى المرحلة الإتيقية التي يتم فيها تأكيد الحرية والإرادة، وهذا الاختيار يرشد إلى المبادئ الإتيقية، وفي الوقت الذي يبدأ فيه الطفل ممارسته للإرادة يتعلم كذلك المعايير والقيم الإتيقية في المجتمع، وهذه المعايير والمبادئ الإتيقية هي التي توجه إرادة الطفل في السيطرة علي رغباته وميوله .

ويؤكد كيركجورد أن من يعيش بطريقة إتيقية لا يقصد إفناء الحالة المزاجية بل يضعها أحيانا في اعتباره، ولذا يقرر أنه عندما يصل المرء إلى المرحلة الإتيقية وهي اكتشاف الذات ومعرفتها، عندئذ يملك الفرد الشجاعة في أن يعرف نفسه ويدركها⁽¹²⁾.

وبناءً علي ذلك ندرك أن مقولة الاختيار هي المقولة الأولى في الوجود الإتيقي وترتبط ارتباطاً وثيقاً بمقولة القرار الإتيقي وهي المقولة الثانية في الوجود الإتيقي بل شرط ضروري للاختيار، ومقولة الاختيار هي شرط ضروري لاتخاذ القرار واختيار المرء لذاته يتضمن المسؤولية الإتيقية والإلزام الإتيقي نحو هذا الاختيار، ويرى كيركجورد أن التأكيد علي القرار الإتيقي لا يعني فقط تحقيق الذات بل هو أيضاً نكران الذات، كما أن التأكيد علي القرار هو تأكيد علي كثافة الحياة وتعمقها بدلا من اتساعها، فكل قرار هو قرار من أجل شيء ما، والقرار الإتيقي يجعل الفرد أمام نفسه وجهاً لوجه بطريقة لا بد من أن تثير القلق، لهذا معظمنا يكره اتخاذ القرار مهما كان مداه، لأن اتخاذ القرار يعني القيام بمخاطرة، ويؤكد كيركجورد علي أن الاختيار الإتيقي يتضمن الندم الإتيقي⁽¹³⁾.

الإلزام الإتيقي عند كيركجورد:-

يري كيركجورد أن الإلزام الإتيقي ليس واجبًا مفروضًا من خارج الإنسان، بل هو إرادة قوية تنتج من ذاته، ورغم أن الإلزام الإتيقي ذات طبيعة كلية، إلا أن الأمر مختلف عند كيركجورد لأنه علي استعداد للتخلي عن العالم كله، ومن ثم يصبح الإلتزام الإتيقي نحو العالم نسبيًا بالمقابلة مع واجبه نحو الله، وإذا كان الإلزام الإتيقي غير مفروض من الخارج، لذا افترضت الإتيقا الكيركجاردية فكرة الحرية باعتبارها هي الشاهد الوحيد علي قيمة الإنسان ووجوده، ومن ثم لا يخضع الإنسان عند كيركجورد في مجاله الإتيقي إلي سلطة خارجية، وإذا كانت الحرية هي استقلال الذات عن كل سلطة خارجية، فهنا ينبغي أن تكون الذات لا المجتمع.

ولهذا يقول كيركجورد في مقولته المشهورة (اختر ذاتك قبل أن يختارها لك الآخرون) واختيار الفرد لذاته يعني قبول المسؤولية نحو الذات، وعندما يصبح الفرد واعيًا بذاته فإنه يفترض فيه المسؤولية⁽¹⁴⁾

فالإلزام الإتيقي بالنسبة للفرد يعني أن يصير الفرد ذاتًا أي يختار تحقيق الذات المثالية التي يمتلك من خلالها الإمكانية في أن يصير إنسانًا عالمًا، أما فكرة الواجب فتشمل الكيفية التي يختار الفرد بواسطتها ما هو عام من خلال اختياراته وقراراته وانفعالاته وأفعاله.

ومن هنا يري كيركجورد أن فعل الواجب يتطلب معاناة الفرد، وهذا يؤكد أن طبيعة الواجب تعبر عن استقلالية الفرد الإتيقي .

ومن هنا يعد الواجب إلزامًا لأنه يشير إلى مسؤولية الفرد نحو ذاته، وعلي هذا ولذلك يري كيركجورد أن طبيعة الواجب تنشأ من التزام داخلي يشير إلى علاقة جوانبه تدل علي واجب الفرد فيما يفعل لتحقيق الذات المثالية، ومن ثم يري كيركجورد أن من طبيعة الإنسان أن يلتزم وأن يراهن علي المستقبل وهذا الإلتزام يأتي عن طريق الاختيار الإتيقي⁽¹⁵⁾

مفهوم أو فكرة التعليق الغائي الإتيقي:-

عرض كيركجورد التعليق الغائي الإتيقي بطريقة مثيرة في كتابه (الخوف والرعدة) عندما حدث صدام بين مستويين من الضمير في قصة إبراهيم وإسحاق، فقد صدر الأمر الإلهي إلى إبراهيم بأن يضع ابنه علي المحرقة وأن يذبحه بفعل من أفعال التضحية البشرية أو ما يسميه كيركجورد (الاتفاق الغائي للإتيقا) والمفروض أن الإتيقا تمنع الأبأن يقتل ابنه ومن هنا جاء تعليق الإتيقا وإيقافه الغاية أسمى هي طاعة الله، والتعليق الإتيقي الغائي يعني أن علاقة إبراهيم بإسحاق يجب ان تكون ببساطة أن الأب ينبغي أن يحبه أشد ما يحب نفسه وهذا ما تقتضيه الإتيقا ولكنه يعلق تلك الإتيقا تلبية لأمر أسمى من الإتيقا⁽¹⁶⁾

الطابع المسيحي للإتيقا الكيركجاردية :-

مما لا شك فيه أن الإتيقا عند كيركجورد ذات طبيعة مسيحية، عبر عنها في المرحلة الدينية وهي المرحلة الثالثة من جدل الوجود. وهذه المرحلة الدينية تنقسم إلي:

المرحلة الدينية (أ).

المرحلة الدينية (ب)

المرحلة الدينية (أ) :تتسم بأنها تفصل بين الله والعالم لأنه في هذه المرحلة الإتيقية يظهر الفشل في التفرقة بين الله والعالم.

المرحلة الدينية (ب): أوالمسيحية. تمثل المسيحية عند كيركجورد النقطة التي يكون التوازن فيها ثابتًا داخل الذات، ويؤكد كيركجورد أن النموذج الإتيقي للوجود يتحقق فعليًا من خلال الفرد الديني الذي يدرك اعتماده علي الله، وهذا التأكيد علي الأيمان له له أهمية خاصة وهي أن الإتيقا ليست هي السبيل إلي الخلاص، لأن الإيمان هو الملاذ الأخير⁽¹⁷⁾

وعلي ضوء ذلك يقف كيركجورد علي نقيض كل المحاولات التي تجعل الفرد الإتيقي مكتفياً ذاتياً، فالمبادئ الإتيقية تقيد وجهة نظر الفرد الدينية لأنها تجعله لا يدرك المغزى الديني فيها، ومن جهة أخرى اتسمت أخلاق كيركجورد المسيحية بأنها إتيقا الخلاص، والخلاص هو السمة الأساسية التي تعبر عنها المرحلة الدينية كما يري كيركجورد، ومن ناحية أخرى أن الإتيقا المسيحية هي إتيقا المعاناة حيث تتضمن المعاناة والإنفعالات والمشاعر والبواعث التي تكون حاضرة في الشخصية الإتيقية لتعبر عن الورع الداخلي والتقوى، فعندما تكون الذات الإتيقية لها علاقة بالله الأبدى فإنها تتضمن خلود الروح بالرغم أنها تحي في العالم الفاني الزماني، ولكن الروح خالدة لا تتغير⁽¹⁸⁾

كما أن الإتيقا المسيحية عند كيركجورد هي إتيقا مفارقة وذلك حينما يدرك الفرد الاختلاف التام بين الله والإنسان، ومن ثم يعترف باعتماد الإنسان علماً الله، لهذا فإن العلاقة بالله تفهم بأنها مفارقة، وهذه المفارقة هي المحور الأساسي في الفهم المسيحي لله كما أنها تعني أن الله الأبدى تجسد في الزمان وهو أبدى⁽¹⁹⁾

والسمة الأخيرة في الإتيقا عند كيركجورد هي أن الإتيقا تختلف عن الإيمان، فالإيمان يهتم باللامتناهي، أما الإتيقا فتهتم بواقع الفرد الخاص، والتشابه بين الإيمان والإتيقا موجود في الاهتمام باللامتناهي، فالمؤمن يختلف عن الإتيقي في الاهتمام اللانهائي بالواقعية الدينية، والأتيقا المسيحية عند كيركجورد ترى أن الإيمان هو الذي يخلق الوجود المسيحي المتعالي عن طريق الحب المسيحي، وإتيقا كيركجورد المسيحية تقوم على الحب حيث يقول (أنها إتيقا حب) حب كل الإنسانية من خلال حب كل إنسان لله، يحب الإنسان جاره، ومثل هذا الحب الأبدى لله هو الوسيلة لأقامه الحب الحق بين البشر، لذلك يقول كيركجورد (إذا ما أحببت حباً أكبر من أي شيء آخر، فانك عندئذ سوف تحب الجار وجارك هو كل

إنسان) وهذا النمط الفريد من الحب هو الذي يشكل المجتمع الكيركجاردى⁽²⁰⁾

مما سبق نرى أن الإتيقا عند كيركجورد اتسمت بصبغة إلهية وذلك لأنه رأى أن الوجود الإلهي يتحد مع الواجب الإتيقي في هوية واحدة، ومن ثم لا نجد تمايزاً بين الله والنظام الإتيقي، لذلك يقول كيركجورد أن كل واجب هو واجب نحو الله، لكنني في تأديتي للواجب لا أدخل في علاقة مع الله، فإذا كان من الواجب أناحب جاري فإنني في أداء هذا الواجب لا أدخل في علاقة مع الجار الذي أحبه ومن هنا وحد كيركجورد بين الله وعالم الإتيقا⁽²¹⁾

* أستاذ بجامعة القاهرة، مصر

الإحالات :

- 1- ليجي هويدي: دراسات في الفلسفة الحديثة والمعاصرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1986، ص 234.
- وانظر أيضاً د. محمد ثابت الفندي، مع الفيلسوف، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1980، ص 125.
- 2- w.elord: being and existence in Kierkegaard's pseudonymous, Princeton university press, new York, 1975, p. 22.
- 3- زكريا إبراهيم: الفلسفة الوجودية، دار المعارف، القاهرة، 1957، ص 12.
- 4- James Collins: the mind of Kierkegaard, Chicago, 1953, p. 138.
- 5- Brandt, f.: soren Kierkegaard his life and his work, trans by Det Dan's, printed in Denmark, Copenhagen, 1963, P. 53
- 6- د. إمام عبد الفتاح إمام: كيركجورد ((رائد الوجودية)) ج 1، (حياته وأعماله)، دار التنوير للطباعة والنشر، 1986، ص 226-228.
- 7- جون ماكوري: الوجودية، ترجمه الدكتور إمام عبد الفتاح، مراجعه د. فؤاد زكريا، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1986، ص 173.
- 8- Kierkegaard concluding un scientific postscript, translated by: David f. S. and Walter lowrice, Princeton university press, 1941, P170.
- 9- د. إمام عبد الفتاح إمام: كيركجورد رائد الوجودية، ص 220-221.
- 10- Emmanuel Levine's: Jane chamberlain: Kierkegaard A critical reader (existence and ethics, oxford 1998, P. 26
- 11- Kierkegaard, S: Ethicalor I, vol, translated by Dived F and Lillian Marvin, Princeton university press, 1969, P. 9.
- 12- George J. Stack, Kierkegaard's existential Ethics, the university of Alabama, 1977, P. 19
- 13- Mark. C. Taylor: Kierkegaard, sPseudonymous Authorship, A study of time and self, Princeton University press, newjersey, 1975, P 197.
- 14- Stack, Kierkegaard's Existential Ethics: P. 110.
- 15- جون ماكوري: الوجودية، 268-269.
- 16- Kierkegaard: fear and trembling, trans by: Howard Hong, 1983, P. 27-28.
- 17- blackhan. H.J: six existentialist thinkers, Rutledge, London, 1987. P 48
- 18- دكتور إمام عبد الفتاح: كيركجورد رائد الوجودية، ج 2، ص 285.
- 19- Taylor: Kierkegaard Pesudnumus Authorship, P. 206.
- 20- وليام ليلي: المدخل إلى علم الاخلاق، ترجمه د. علي عبد المعطي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1991، ص 200.
- 21- د. إمام عبد الفتاح: كيركجارد رائد الوجودية، 269-270.